

أضواء البيان

@ 7 @ .

فالأكنة والوقر والحجاب المذكورة إنما جعلها □ عليهم ، مجازاة لكفرهم الأول . .
ومن جزاء السيئة ، تمادي صاحبها في الضلال ، و□ الحكمة البالغة في ذلك . .
والآيات المصراحة بمعنى هذا كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : { وَقَوْلِهِمْ ° قُلُوبُنَا
غُلُوفٌ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ ° عَلَائِيَهَا بِكُفْرِهِمْ ° } . .
فقول اليهود في هذه الآية { قُلُوبُنَا غُلُوفٌ } كقول كفار مكة : { قُلُوبُنَا } { في
أَكِنَّةٍ } لأن الغلف ، جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف ، والأكنة جمع كنان ، والغلاف
والكنان كلاهما بمعنى الغطاء الساتر . .
وقد رد □ على اليهود دعواهم ببل التي هي للإضراب الإبطالي ، في قوله { بَلْ طَبَعَ
اللّٰهُ ° عَلَائِيَهَا بِكُفْرِهِمْ ° } . .
فالباء في قوله : بكفرهم سببية ، وهي دالة على أن سبب الطبع على قلوبهم هو كفرهم ،
والأكنة والوقر والطبع كلها من باب واحد . .
وكقوله تعالى : { ذَلِكْ بِأَنَّهَمْ ° ءَامَنُوا ° ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَي
قُلُوبِهِمْ ° فَهَمْ ° لَا يَفْقَهُونَ } ، والفاء في قوله : فطبع سببية أي ثم كفروا ،
فطبع على قلوبهم بسبب ذلك الكفر . .
وقد قدمنا مراراً أنه تقرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل ، ومن المعلوم أن العلة
الشرعية سبب شرعي . .
وكذلك الفاء في قوله : { فَهَمْ ° لَا يَفْقَهُونَ } فهي سببية أيضاً ، أي فطبع على
قلوبهم ، فهم بسبب ذلك الطبع لا يفقهون أي لا يفهمون من براهين □ وحججه شيئاً . .
وذلك مما يبين أن الطبع والأكنة يؤول معناهما إلى شيء واحد ، وهو ما ينشأ عن كل منهما
من عدم الفهم . .
لأنه قال في الطبع { فَطَبَعَ عَلَي قُلُوبِهِمْ ° فَهَمْ ° لَا يَفْقَهُونَ } . .
وقال في الأكنة : { وَجَعَلْنَا عَلَي قُلُوبِهِمْ ° أَكِنَّةً ° أَنْ يَفْقَهُوهُ } أي
كراهة أن يفقهوه ، أو لأجل ألا يفقهوه ، كما قدمنا إيضاحه .